

وظيفة المنطق عند النورسي ومجالات استعماله

فاطمة بويحي
جامعة الجزائر 02

ملخص:

تتناول هذه الدراسة وظيفة المنطق عند النورسي، باعتبار أن الإمام المصلح لا يمكن أن يصل إلى أهدافه الإصلاحية من دون الاعتماد على منهج معين، فكان منهج النورسي متسلحا بآلة المنطق، لذلك ارتأينا معالجة الإشكال التالي: ما هي وظيفة المنطق عند النورسي؟ ولما كان المنهج المناسب لمعالجة الإشكال هو المنهج التحليلي ارتأينا اعتماده، لنصل إلى أن للمنطق وظائف كثيرة تصب كلها في خدمة البرهنة على وحدانية الله.

الكلمات المفتاحية: النورسي، المنطق، الإيمان، وظيفة المنطق.

Abstract:

This study deals with the function of logic according to Nursi, given that the reformist Imam cannot reach his reform goals without relying on a specific approach, so Nursi's approach was armed with a logic machine, so we decided to address the following problem: What is the function of logic about Nursi? The appropriate approach to treating forms is the analytical method that we have decided to adopt, in order to arrive at the conclusion that logic has many functions, all of which serve to demonstrate the oneness of God.

Key words:

مقدمة:

كيف كنا؟ وكيف أصبحنا؟

إن طرح هذين السؤالين يفرض علينا تشريح الوضع الإسلامي، بغية الخروج مما نحن فيه، والرجوع إلى عهدنا الماضي، عهد الأنوار، و تشريح الذات يعود بنا مباشرة إلى حال المسلم ، في المجتمع المسلم أيضا، لذلك ارتأينا تناول مصلح العصر، الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، باعتباره وضع منهجا في الحياة، للحياة، يسعى إلى إعادة بناء الذات بناءً قويا، تعود ركائزه للأصل الإسلامي الخالص.

ويشترط في هذه العودة تحليلا يوفر لنا أرضية صالحة للبناء، تضع دعاماتها براهين تفصل كل ما هو غير مقبول عقليا، عن ما هو مثبت فعلا، لذلك ارتأينا تناول الجانب المنطقي عنده، الذي إذا غاب سيغيب حتما الرقي الحضاري، لأن أي واقع لا يبنى على أسس منطقية، لا يعدو أن يكون مجرد ركام بالقوة، سرعان ما سيتحول إلى الفعل مع الوقت ، لذلك ارتأينا تناول وظائف المنطق عند النورسي، لاستوضحها، وكشفها.

فما هي الوظائف الأساسية للمنطق الأرسطي عند النورسي؟ وما هي مجالات استعماله؟

عرض:

أولاً- وظيفة المنطق عند النورسي:

I. ظروف نشأة المنطق ووظائفه عند المناطق الأوائل:

(1) ظروف نشأة المنطق:

يرتبط ظهور المنطق بما كان سائدا عند الأثينيين من حرية في التفكير أفضت إلى ظهور الجدل، جراء الحاجة الملحة له في ظل تطور فن الخطابة، وتجدر الإشارة إلى أن كلمة الجدل (dialectique) تشير إلى فن الكلام القائم أساسا على الحجاج والبراهين، لا مجرد كلام الهدف منه التأثير في النفوس، واستجداء التعاطف والانتباه، فهي بهذا تشير إلى فن المناقشة واستعمال الحجاج¹، وهكذا عرف الأثينيون الجدل الذي كان الفيصل في كل الحوارات، والمنتصر في كل الخطابات، حتى تحول فيما بعد إلى سفسطة تقوم أساسا على التمويه² ما دامت الغاية منه لحظتها هي «جعل أضعف الحجج يبدو أقواها»³ على حد تعبير بروتاغوراس.

وما دام «الإنسان هو مقياس الأشياء (و) هو مقياس ما يوجد منها ومقياس لا وجود ما لا يوجد منها»⁴، اختل مفهوم الحقيقة، وأصبح في الإمكان أن يجتمع المتناقضان، فيصبح الأمر حقا وليس حقا في نفس الوقت، بالرجوع فقط إلى تصور الإنسان، الذي هو مقياس الحقائق كلها. هذا ما دفع بسقراط إلى محاربة التوجه السفسطائي من خلال توحيد الحقائق، والاهتمام فقط بالكليات، على حساب الفرديات، بغية إدراك التعريفات الكلية⁵، وهذا ما انتبه إليه أرسطو في نظريته في المنطق، لما اهتم أساسا بالبحث عن الكليات، باعتبار أن العلم يحتاج فقط لما هو كلي، ولا يمكن أن يكون الفرد بذلك موضوعا للعلم ما دامت القضايا الشخصية لا تمكننا من التحدث عن الكم بشكل مناسب، باعتبار أن الصنف هو الذي له ما صدق وليس الفرد⁶، فقولنا "أحمد" لا يمكن أبدا أن يصل بنا إلى ماهية أحمد، لكن قولنا "إنسان" سيجعلنا نصل إلى ماهية أحمد وكل البشر الذين هم على شاكلته، فالعلم كلي، ولا يمكن أن يكون إلا بالحدود الكلية لا الجزئية.

(2) وظيفة مباحث المنطق عند أرسطو:

من المعلوم أن للمنطق عند أرسطو مباحث مختلفة، لكل منها وظيفته الخاصة، والتي تدور كلها في فلك البحث عن العلم الكلي، ومنطلق هذا البحث يتمحور حول توضيح الدلالات، وضبط التصورات، باعتبار أن التصور هو <<علم بماذا يدل عليه اسم الشيء>>⁷ على أساس أن الغاية من ضبط التصورات هو توضيح هذه الدلالة درء للغموض الذي سببته السفسطات، من خلال توضيح العلاقة بين صفات المفهوم، وما تصدق عليه هذه الصفات من دلالات معينة، بهذا يلعب المنطق دورا فعلا في عملية توضيح الدلالات، التي ستستعمل فيما بعد في تشكيل الأقوال الإنسانية بداية من القضية، وصولا إلى الاستدلالات بمختلفها، والتي تلعب فيها الروابط دورا فعلا في توضيح المعنى، بداية من الرابط في القضية، الذي يعنى بضمان سلامة التراكيب، لضمان سهولة إدراك المعنى⁸ وصولا إلى الحد الأوسط الذي يشكل محور عملية الاستدلال، باعتباره يفتش عن مختلف العلل، فهو ليس مجرد رابط بين الحد الأكبر والأصغر فقط، بل هو أساس تحليل النتيجة التي تكون مفترضة سابقا، إذ <<أساس الاستدلال الإستنتاجي .. يتمثل في اكتشاف الحد الأوسط، وإدراجه بين الموضوع والمحمول>>⁹ من خلال تقديم النتيجة كمفترض، يتم من خلاله عن الرابط بين حدي الاستدلال الأكبر والأصغر، بهذا يلعب المنطق دورا فعلا في التركيز عن البحث عن العلل، فهو بهذا روح العلم.

والمنطق عند الرواقيين بمثابة هيكل للفلسفة باعتباره عظام الكائن الحي الذي هو الفلسفة ، وروحها التي تثبت فيها الحياة هي الإيتيقا¹⁰، لهذا فهو يلعب دورا فعالا في ضبط الأقوال الإنسانية من خلال قواعده المعروفة، لذلك أولوا عناية كبيرة لتحليل اللغة، من خلال التركيز على المطابقة بين البنيات المنطقية والبنيات النحوية¹¹، فمثلا يضبط النحو اللسان، ستضبط قواعد المنطق كل الأقوال الإنسانية.

(3) وظيفة المنطق عند المسلمين:

استند المسلمون كغيرهم من من سبقهم إلى قواعد المنطق رغم الهجمة الشعواء التي تعرضت إليها ركائزه من طرف جملة من علماء الدين خاصة، كابن الصلاح وابن تيمية مثلا، ولم يعتمد عليه ابن سينا والغزالي إلا لوعيتهم التام بأهميته الكبيرة في التأسيس لبناء الحجة >> التي يؤتى بها في إثبات ما تمس الحاجة إلى إثباته من العلوم التصديقية >>¹²، بغية تسهيل عملية البرهنة، التي تؤسس للعلم، والتي تستعمل عل أوجه مختلفة، فإضافة إلى ما سبق، استعمل المسلمون البرهنة بالخلف، والتي قوامها >> أن تأخذ مذهب الخصم وتجعله مقدمة، وتضيف إليه مقدمة أخرى ظاهرة الصدق، فينتج من القياس نتيجة ظاهرة الكذب ، فيتبين أن ذلك لوجود كاذبة في المقدمات >>¹³، فالغاية منه بهذا هي تقرير الدليل وتبيان الحجة والرد على أقوال الخصوم ودحضها، بهدف غاية أسمى واحدة ألا وهي خدمة العلم بشقيه، الأخروي والدنيوي.

(4) استعمال المنطق عند المسلمين:

تعددت مجالات استعمال المنطق عند المسلمين ، بتعدد احتياجاتهم ، و كان علم أصول الفقه النتيجة الحتمية للتأثر الكبير به ، باعتبار أن الفتوى ليست بالأمر الهين ، التي يمكن التعامل معها من دون قواعد ، ف >> الإفتاء عظيم الخطر ، كبير الموقع ، كثير الفضل (ما دام) المفتي وارث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وقائم بفرض الكفاية، لكنه معرض للخطأ >>¹⁴، إذا لم يلتزم بجملة من القواعد، تصب كلها في قالب المنطق، ويشير علم أصول الفقه إلى العلم الذي يعتمد على >> أدلة الفقه الإجمالية، وكيفية الاستفادة منها >>¹⁵، لإصدار الفتوى، انطلاقا من البحث عن أصولها الشرعية المتفق عليها، وحتى المختلف فيها أيضا، ويعرف هذا المجال باسم (قياس الشاهد على الغائب)، أي قياس القضايا معلومة الحكم، على قضايا لا نعرف حكمها بحكم جدتها، وحدائتها، من خلال البحث عن علة النتيجة، التي ما هي في حقيقة الأمر إلا الحد الأوسط في القياس الحملي، الذي اعتبره بابن سينا مبدأ كل برهان¹⁶، ما دامت الغاية من وروده هي اكتشاف العلة، لذلك جنب هذا الاستدلال علم أصول الفقه العديد من الاستنتاجات الخاطئة، مثل مثال (الدينار أفضل من الدرهم، والرجل أفضل من المرأة)¹⁷ الذي وضحه الإمام أبي حامد الغزالي، الذي كان يعتبر صحيحا عند جملة من لا يعرفون قواعد المنطق، ولكن الغزالي كشف بطلانه، لغياب الرابطة بين القضية الأولى والثانية، فعلى أي أساس سنجعل الرجل مثل الدينار، والمرأة مثل الدرهم؟ بهذا كان المنطق وسيلة في تجديد الفتاوى الإسلامية، لأجل مسايرتها ظروف العصر.

كما انتبه المسلمون إل أهمية استعمال القياس في العلوم التجريبية ، ويعد الشيخ الرئيس على رأس هؤلاء، إذ استعمل القياس لاستنتاج العديد من القضايا انطلاقا من المقارنة بين الأصحاء والمرضى ، معتمدا في ذلك على مجموعة من القوانين، كقانون الذاتية والامتناع والثالث المرفوع والتعليل¹⁸، وغيرها ...

ثانياً- المنطق عند النورسي:

(1) موقف النورسي من المنطق:

يعرف الإمام بديع الزمان سعيد النورسي المنطق على أنه >> شريعة الموجودات الذهنية الساكنة في الجنان<<¹⁹، على أساس أن الهدف من كل تفكير إنساني هو إدراك الذات الإلهية والارتقاء لمعرفتها وإدراك كمالاتها، ولن يتسن ذلك بعيداً عن البراهين العقلية التي ترفع الإنسان إلى مستوى الجنان. لإدراك حقيقة الله، لهذا كان المنطق مندوباً للعالم، مكروهاً للجاهل²⁰، بل لا يمكن للعالم أن يبلغ مبلغ العلم الدقيق إلا في ثوب المنطق، فهو واجب ولازم له، ما دامت قواعده كفيلة بتحييد الفكر عن الأغاليط، هادمة للأدلة النافية للصواب، والباحثة عن الأدلة النافية لغير الصواب. بل هو فرض كفاية، يتعين على كل عالم تعلمه، باعتباره الموجه والمجهز للعقائد الحقة²¹، التي تشع في روح الإنسان، بذلك يكون المنطق حقل الوصل بين الروح والعقل، لتتماهى هذه الحقائق، مشكلة حقيقة واحدة، هي ما ينشدها الإنسان، حقيقة الله.

ويكون المنطق مكروهاً للجاهل، لأن عدم معرفة قواعده على أسسها قد تجعله يحيد عن الغرض الذي وضع من أجله، إذ قد يتم استعماله في التضليل والابتعاد عن جادة الصواب، بل قد يكون وسيلة طيعة في أيدي المضللين لترك الواجب، والانجرار للفساد، خاصة إذا استعمل للمغالطة، لا للتتوير والإفادة²². هذا ما يجعل المنطق آلة لا يمكن الاستغناء عنها في جميع عمليات البرهنة، لاسيما في البرهنة على توحيد الله، وعلى وجوب الإيمان به.

(2) وظائف مباحث المنطق عند النورسي:

اعترف النورسي بأهمية المنطق لاعتبارات شتى يمكن تلخيصها في الوظائف التي يمارسها باعتباره آلة الغاية الأسمى منها حماية الفكر من الأغاليط، ولما كانت المغالطات والأغاليط مختلفة، ويمكن أن يتعرض لها العقل في أي ظرف من الظروف، إذا لم يكن متسلحاً بها، كان التسلح بآلة المنطق واجباً، ويمكن تلخيص وظائف المنطق عند النورسي في ما يلي:

(أ) وظيفة الحدود والتصورات:

يحتوي كل علم على تصورات معينة، معرفتها وضبطها، تمكن دارسها من استسهال الإحاطة به، ولما كانت رسائل النور منهجاً نورانياً، يهدف إلى >> تعويد الأذهان على الدقة في الملاحظة والإنعام في النظر<<²³، كانت دقة التصورات بالغة الأهمية، وهذا ما انتبه إليه الإمام النورسي، لذلك نجده يشدد على الإحاطة بتوضيح التصور، في غير موضع واحد، إذ نجده مثلاً يوضح فكرة التوحيد في مواضع شتى، وكأنه أراد أن يضع حيزاً دقيقاً، يوضح فيه هذه الفكرة، وإذا عرفنا معنى التصور عنده، سنفهم الغاية من صفة الدقة والتدقيق عنده، إذ يعرف التصور على أنه أساس كل إدراك ما دام >> للنفس في الإدراك فعل، يستتبع إضافة، تستلزم انفعالا، يستولد كيفية، تستردف صورة<<²⁴، فأى إدراك لن يتم، إلا بتوفر الصورة في الذهن التي تشير إلى >> المعاني العامة المجردة<<²⁵، فهو محصلة كل عملية إدراكية، منطلقها يكون حسياً، من خلال استقبال المؤثرات، ليصبح عملية متكاملة يتم من خلالها ضبط العملية الإدراكية، فوظيفة التصور على المستوى الإدراكي هي ضمان سلامة العملية الإدراكية.

أما على المستوى اللفظي، فيضمن لنا التصور بوجهيه، المفهوم والماصدق إضافة إلى الحد سلامة التعريفات، والتصور الذي يقصده النورسي هنا، هو التصور في صورته الإطلاعية، باعتبار أن حصول المعرفة في الذهن من دون تصديق هي بمثابة إدراك أولي،

يحتاج إلى تحديد مفهومه، وما تنطبق عليه صفات المفهوم من ما صدقات، لذلك نجده يصير على تحديد ما صدقات المفاهيم، ليفصلها عن غيره ، وما تركيزه على وحدانية الله إلا دليل على أهمية تحديد التصورات وضبط ما صدقاتها، فنجد استنادا للقاعدة >> كلما زاد المفهوم نقص الما صدق <<، يركز على تعميق مفهوم التوحيد والوحدانية في الشعاع الثاني²⁶، ليصل بعقل الإنسان إلى الما صدق الوحيد والأوحد الذي تنطبق عليه صفات التوحيد والوحدانية إلا وهو الله عز وجل .

(ب) وظيفة التعريف عند النورسي :

التعريف هو كل قول شارح >> يستقرئ مواطئ النشوء ، ومدارج الاستكمال ويحلل ويرد الشيء إلى أصله <<²⁷ ، فمعرفة الشيء لا يمكن أن تكون على وجه سليم إلا بتوضيح حدود التعريف، فتكون وظيفة التعريف هي توضيح الشيء وإدراك ماهيته ، تمهيدا لتسيير إصدار الأحكام، ف >>الحكم — على نحو ما يصرح النورسي — إن في بحبوحة فطرة الإنسان احتياجا ذا السنة ضمنية ذات خمسة أسئلة، يقابل بها الحادثات، وينعي بها الوقائع، وينادي بها الكائنات المشهور منها " ما "المولد للمبادئ التصورية، " ولمه " للمبادئ التصديقية في العلوم، وتجيبها الحكمة بلسان الكائنات المفسر بعضها بعضا — التعريفات — في مقابل سؤال ((ما)) وبالأدلة في جواب سؤال ((لمه)) <<²⁸، فالتعريف بهذا يكون جوابا للسؤال ((ما)) الذي يهدف التفسير، ونزع الغموض عن الشيء المراد تعريفه، لذلك يكون السؤال ((لماذا)) الذي يطرح لبحث العلة في القياس، عبارة عن تعريف أيضا، لأن الغاية منه هي كشف العلاقة بين حدي الاستدلال، بغية كشف الغموض عن هذه العلاقة، التي هي عبارة عن علة النتيجة، وهي بذلك توضيح لها، كقولنا مثلا العلاقة بين المسكر والمخدر والدافع لتحريم الثاني بالقياس إلى الأول، ما هو في حقيقة الأمر إلا بحث عن حقيقة المخدر، انطلاقا من البحث عن الجنس والنوع الذي ينتمي إليهما .

(ت) وظيفة الأحكام والقضايا:

يعرف النورسي القضية استنادا إلى ما ورد عند الأخضري في السلم المنورق على أنها كل ما يحتمل الصدق والكذب من الأقوال الخبرية²⁹، وهي عنده كما عند غيره نوعان، الحملية المؤلفة من موضوع ومحمول، والشرطية ، بشقيها المنفصلة والمتصلة، ووظيفة كل منهما الأخبار، فيسهل استعمال الحملية في البرهنة العلمية، ما دام >> كل علم يبحث — بالحمل الثبوتي — عن الأعراض أو عن الصفات التامة للشيء، أعني (فيما يقول النورسي) الموضوع (فإن) مسائل كل علم قضايا حملية موجبة كلية، ضرورية في الخارج نظرية في الذهن <<³⁰ ، فالحملية بهذا هي أداة العلم .

أما الشرطية فتلعب دورا جوهريا في عملية التعليل، باعتبار أن المقدم هو علة التالي، إذا صدق صدق، لذلك يستعمل أيضا في عملية البرهنة، كما أضاف النورسي مفهوما جديدا للشرطية يتعلق بالتضاييف، ويكون ذلك في تساوي طرفي الشرط، كقولنا مثلا: كلما تحقق الإنسان، تحقق الحيوان³¹، مما يضيف للشرطية وظيفة أخرى إضافة لتقرير الدليل إظهار العلة ، ألا وهي توضيح العلاقات.

(ث) وظيفة الاستدلالات: ينقسم الاستدلال إلى شقين، مباشر وغير مباشر، فأما الأول فله وجهان، الاستدلال بتقابل القضايا، يكون إصدار الحكم فيه من خلال تقابل قضيتين قد تختلفان في الكم، أو الكيف، أو فيهما معا، مشكلتان بذلك علاقات مختلفة، هي كالتالي: (التناقض، والتضاد، والتداخل، والدخول تحت التضاد)، ولقد جعل النورسي العلاقة الأولى (

التناقض) جعلها أساس الأشكال الأخرى³²، لأنها الأسهل والأوضح في بيان الحكم، ما دام صدق الأولى يستلزم كذب الثانية بالضرورة، وكذلك الأمر في الحالة العكسية. بهذا تكون مهمة الاستدلال بتقابل القضايا هي سهولة استنتاج الأحكام.

أما الاستدلال بعكس القضايا والذي يعني تغيير وتبديل طرفي (حدي) القضية الحملية ، فيغدو الموضوع محمولا، والمحمول موضوعا، مع بقاء كيف والصدق لا الكذب³³، فوظيفته الأساسية هي البرهنة، وهو قاعدة للبرهان بالخلف، إذ يقول النورسي موضحا الفكرة << لو لم يصدق العكس لزوما، لأمكن انفكاكه >>³⁴، فصدق القضية المعكوسة ينفي صدق نقيض القضية الأصلية، وكذب العكس يعني مباشرة صدق القضية المناقضة للقضية الأصلية، هذا القانون يجعل عملية البرهنة سهلة، وعملية استنتاج الأحكام أسهل، وما يمكن ملاحظته من خلال وضعه لهذا القانون، هو التشابه الكبير بينه وبين قانون ديمورغان، القاضي بأن << نفسي النفي إثبات >>، غير أن ما ذكره النورسي، يعد أكثر تأصيلا ودقة، وشساعة، لأنه اعتمد على العكس، وقد عبر عن هذه الفكرة بقوله: << عكس النقيض هو ملزوم المحال، فلا يمكن، فيلزم العكس >>³⁵، فكذب عكس النقيض يستلزم صدق القضية، بهذا يكون الاستدلال بالعكس قاعدة أساسية في عملية البرهنة، وظيفتها الأساسية هي سهولة استنتاج الأحكام.

أما الاستدلال غير المباشر، فهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- الاستدلال بالجزئي على الكلي، وهو الاستقراء، الذي هو أساسي في ابتداء حصول العلوم.
- الاستدلال بالجزئي على الجزئي، وهو التمثيل ، وهو المعتبر في أصول الشرع، بل في كل التشبيهات.
- الاستدلال بالكلي على الجزئي، أو على الجزئي الإضافي، وهو القياس المنطقي، والجاري في تعليم العلوم³⁶.

وإذا حللنا كلمة الاستدلال ، نجد أن الغاية منه هي تقرير الدليل، ما دام يقدم لبناء الأدلة و الحجج، ولما كانت أهميته كبيرة جدا، وضح الإمام سعيد النورسي وظيفة كل استدلال على حدى، فأما الاستقراء فهو مؤسس للعلم، مفصل للعقل بالملكة، مفيد لليقين، ومفيد للظن³⁷، ذلك لأن الظن يدفعنا لإعادة النظر في النتائج، فكان الاستقراء بمثابة منهج يقوم على الظن باعتباره يؤسس ما هو كلي على ما هو جزئي، ليصل عن طريق التحقيقات المتواصلة إلى نتيجة علمية معينة، لذلك يعد قاعدة العلوم، وما يمكن أن يلاحظ في هذا الصدد أن قضية الظن هي ما أضافها إلى ما عرف عند سابقه، سواء أرسطو، أو من جاء بعده من المسلمين. أما الاستدلال التمثيلي فوظائفه عديدة ومتعددة، فهو يساهم في إصدار الأحكام، خاصة في المجال الديني واللغوي، كما يلعب دورا فعالا في طرد غير الصالح من خلال إفحامه، وإبطال حججه بالأدلة القاطعة، المستندة في الأساس إلى المشابهة ، وتنقيح المناط بطرق الخصوصيات، وتحقيق المناط بإثبات في الصور الخفية، كما وظيفته الأسمى هي الإقناع بالاستناد إلى العلل التي تعتمد على الوصف الظاهر والدقيق والمنضبط³⁸. وقد استعمل النورسي هذا البرهان في غير موضع واحد، لسهولة فهمه، وطراوة نزوله على الأذن كقوله مثلا: << فالذي يترك صلاته لأجل هموم العيش مثله كمثل ذلك الجندي الذي يترك تدريبه، وخذقه ويتسول متسكعا في الأسواق >>³⁹، فالتمثيل بهذا أسلوب يمكن استعماله في شتى

المبادئ، خاصة في الفقه، بل اعتبره أقوى البراهين، تجاوز في قوته قوة القياس⁴⁰، ما دام سهل الفهم والاستيعاب.

أما القياس فوظيفته الأساسية فهي إثبات العلة، من خلال البحث عن الحد الأوسط، الذي هو غاية القياس، ويقول النورسي في هذا >> لتحصيل الحد الأوسط لهذا التصديق والغاية، فتلزم أن تكون معتدة، ومعتبرة، ومقصودة، ومهمة ومخصوصة <<⁴¹، فالغاية من استعمال الحد الأوسط ليست البرهنة فقط على النتيجة وكأنه مجرد رابط بين مقدمتين لتحصيلها، بل هو علة كل نتيجة، وإيجاده يعني البرهنة عليها، ف >> الحد الأوسط (بهذا هو) شرط العلم بالإننتاج <<⁴²، فالقياس بهذا ليس مجرد دور وتحصيل حاصل كما يعتقد ديكارت، بل هو أساس كل علم، وركيزته الأساسية هي الحد الأوسط، ولا يختلف الإمام في هذا عن ابن سينا.

II. مجالات استعمال المنطق في رسائل النور

1) الأسلوب البرهاني في رسائل النور:

لما عرف النورسي قيمة المنطق وأدركها، جعله الوسيلة الوحيدة في البرهان، إذ لا يمكن تقديم أي دليل ما لم يكن في ثوب منطقي، مادامت قواعد هذا الأخير هي الآلة الدقيقة لحماية الفكر من الزلل، وبالتالي حماية العلم وحتى المعتقد من الزيغ عن جادة الصواب، >> فالأوهام التي ترد من الإمكان الذاتي على غروب الحياة الدنيا وشروق الآخرة التي هي من حقائق الغيب الإيمانية لا تولد خللاً في يقيننا الإيماني قطعاً، ولهذا فالقاعدة المشهورة في أصول الدين وأصول الفقه "لا عبرة للاحتمال الناشئ عن الدليل" <<⁴³، فالعبرة تكون في اليقين الناشئ عن الدليل، باعتبار أن الإيمان ليس مجرد نور إشراقي يدركه العارف، بل هو سبيل يدركه السالك طريق النور من خلال الأدلة والبراهين المقدمة التي لا يمكن الشك فيها إطلاقاً.

وليكون الدليل قوياً، يجب أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط، هي >> أن يكون ظاهراً، وأظهر من النتيجة أمام نظر الجمهور <<⁴⁴، فما دام الدليل وسيلة لإثبات النتيجة، يجب أن يكون أوضح منها، أسهل منها للفهم، وهكذا أسلوب فقط نستطيع البرهنة على وحدانية الله، وهكذا منهج فقط نستطيع استشراف حقيقة الذات الإلهية التي تتشدها رسائل النور.

2) المنطق والإيمان عند النورسي:

يعرف الإيمان على أنه >> تسليم النفس بالشيء تسليماً راسخاً، لا تقل قوته من الناحية الذاتية عن قوة اليقين <<⁴⁵، بحيث إذا كانت فكرة ما في النفس، سيكون التسليم بها تسليماً لا يشوبه شك، وتتخلص هذه الفكرة عند المسلمين بالإيمان بالله، وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره، ويعد الإيمان بالله هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، أما الأصول الأخرى فهي فروع له⁴⁶.

ويرتبط الإيمان عند النورسي بفكرة التوحيد، الذي يعني الإيمان الخالص بوحداية الله عز وجل في ملكه، بحيث لا يصل كائن مرتبته، ولا يشاركه أحد في ملكه، ولا في كمال صفاته، بحيث يكون الكمال خالص لله، وكذلك الجمال الرباني اللامحدود، وآلائه التي لا تعد ولا تحصى، تكون كلها خالصة لله وحده دون غيره من الكائنات، لأنه الوحيد المختص بخلقها، بهذا تكون صفاته سبحانه وكمالاته وآلاؤه كلها مرآة يمكن من خلالها كشف حقيقة الوحدانية، إذ >> إن الجمال الإلهي والكمال الرباني يظهران في التوحيد وفي الوحدانية، ولولا التوحيد لظل ذلك الكنز الأزلي مخفياً، نعم، إن الجمال الإلهي وكماله الذي لا يحد، والحسن الرباني

ومحاسنه التي لا نهاية لها، والبهاء الرحماني وآلاءه التي لا تعد ولا تحصى، والكمال الصمداني وجماله الذي لا منتهى له، لا يشاهد إلا في مرآة التوحيد؛ بوساطة التوحيد ونور تجليات الأسماء الإلهية المتمركزة في ملامح الجزئيات الموجودة في أقصى نهايات شجرة الكائنات >>⁴⁷. فالتوحيد بهذا يعني الإحاطة بنور تجليات الأسماء الإلهية، مع الإخلاص في الإيمان باختصاص الله كامل الصفات بها، خالصة له دون غيره من الكائنات. وللبهنة على صدق مسلمة التوحيد، استند إلى جملة من الأدلة وأساليب البرهنة المنطقية، وهي كالتالي:

• الاستدلال: استند النورسي أيضا إلى قواعد الاستدلال للبرهنة على حقيقة وحدانية الله ، من خلال القياس على ما هو موجود في الواقع من أمثلة، وخير مثال يمكن أن يقدم هو ما يلي:

لو وجد سلطانان في بلاد فالأمر تضطرب، ويختل النظام ويحدث الهرج والمرج، ولكن نظام المدن على العموم مضبوط، فبالتالي لا يوجد إلا حاكم واحد، وهذا هو المعروف في كل الدول و المدن والولايات، بحث لا يوجد إلا حاكم أو وال، أو مختار واحد لا غير للدولة أو الولاية أو البلدة الواحدة⁴⁸، فإذا كان هذا هو المعروف على المستوى المحدود، فما بالك بالكون ككل، هل يعقل أن يكون فيه إلهان أو أكثر، ولا يشوب الكون أي اختلال ؟ . كما أنه إذا كان الإنسان المخلوق لا يقبل أن يشاركه أحد في حكمه، فما بالك بالخالق الواحد ؟ >> فلئن كان ظل حاكمية في الإنسان العاجز المحتاج إلى المعاونة يرد مداخله الآخرين ويرفض اشتراكهم رفضا باتا إلى هذه الدرجة، فلا تقبل قطعا حاكمية في ربوبية مطلقة للتقدير المطلق المنزه عن العجز مداخله سواها واشترائه، بل ترده ردا قويا، وتطرده من ديوانها من يتوهم الشرك ويعتقد به طردا عنيفا >>⁴⁹، هذا ما يبين منطقيا حقيقة حاكمية الله، وحدانيته، وبالتالي إبطال الشرك ، فالغاية من الاستناد إلى هذه الاستدلالات هي تقرير الدليل وإثبات الحجة، التي يحوطها الكمال والدقة، في مقابل عرضها بعيدا عن هذه المنهج، كانت لتكون مجرد خبر لا دليل، وهذا ما يتجنبه النورسي، الذي جعل لبلوغ التوحيد طريقان، طريق الذوق الذي يصل إلى عين اليقين، وطريق المنطق الذي يدرك علم اليقين⁵⁰.

ولإثبات وحدانية الله، عمل النورسي على إبطال حجج المشركين، عن طريق إبطال فرضية الله في حكمه، وملكه، فيقول أن >> إسناد خلق جميع الأشياء إلى واحد أحد، يولد سهولة متناهية بدرجة الوجوب واللزوم، بعكس اسناده إلى الأسباب العديدة >>⁵¹ التي تحل الفوضى، إذ >> في كل شيء وحدة، والوحدة تدل على الواحد وتشير إليه، ومما لا شك فيه أن الأثر الواحد يصدر من صانع واحد، فالواحد يصدر من الواحد، وحيث أن في كل شيء وحدة، فهي تدل على أن الشيء أثر لواحد أحد وصنعتة >>⁵²، فعلة الكون هي الوحدة التي تدخل في تركيب كل الوجودات، ولما كان الواحد يصدر عن الواحد، فالعالم المتكون من وحدات يصدر عن الواحد الكلي المطلق، وما يمكن ملاحظته من هذا الاستدلال هو انتباه النورسي لأهمية الاستدلالات في التفهيم عن العلل، ما دام الرابط بين الوجودات كلها هي وحدتها، وانفصال نواتها عن الوجودات الأخرى، فخالق هذا الكون لا يمكن أن يكون متعددًا أبدًا، بل سيكون واحدا لا محالة.

• البرهان بالخلف:

لم يكن النورسي ليرضى فقط بالبراهين المباشرة، والمبنية على شكل قياس، بل استند إلى البرهان بالخلف تأكيدا للمبرهن، إذ يقول مؤكدا وحدانية الله عز وجل أنه >> لو لا التوحيد، لانكسفت جميع مزايا الكون وكمالاته ... ولانقلبت تلك الحقائق السامية الراقية إلى أصدادها>>⁵³، ولكن كمالات الكون لم تنكسف، ولم تنقلب إلى أصدادها، بل ظهرت تظهر بصورة جلية في انتظام الموجودات، واتساق وظائفها، وأدوارها ابتداء من الميكروب والنمل، إلى الكركدن والنسر إلى الكواكب السيارة⁵⁴، هذا النظام الذي لم ينكسف، دليل على وحدانية الله ، وما استعمل النورسي هذا الدليل إلا تبياناً أن الله واحد، وأن كل من يحاول إبطال هذه الحقيقة بإشراك ما خلق الله بالخالق في ملكه ما هو في حقيقة الأمر إلا مقصر في حق العقل الذي إذا لاحظ مخلوقات الله في انتظامها، اكتشف عن طريق أعمال عقله حقيقة وحدانية الله . بل هو جريمة في حق كمالات هذا الكون المنتظم ، الذي لو اشترك فيه الهان لتحول إلى >> أشتات واهية جامدة ، لا روح لها ولا حياة ، ولا بقاء لها ولا وظيفة، هالكة لا معنى لها، تتدحرج في خضم ظلمات العدم وأهوال الأحداث التافهة والانقلابات، فالشرك يجعل هذا المصنع العظيم الذي يدر النفع الكثير، شيئاً لا فائدة له ولا يكسب منه شيء، معطلاً عن كل عمل، مختلطاً ومتشابكاً تلعب به المصادفات العشوائية والطبيعة الصماء ، والقوى العمياء، ومأتما حزينا لذوي الشعور كافة، ومذبحة ومسلخة أليمة لذوي الحياة كافة >>⁵⁵، ولو اشترك الهان في تسيير الكون لضاع فعلاً، إذ >> ما افترض وجود شريك في الكون كله — فيما يقول — وجب أن يظهر نصيبه في التدخل بخلق أصغر بذرة — إذ البذرة نموذج الكائنات — وعندئذ يلزم باستفزاز ربوبيتين، لا يسعهما الكون العظيم — في بذرة صغيرة — بل في ذرة، وهذا من أسخف المحالات والخيالات الباطلة وأبعدها عن المنطق والعقل >>⁵⁶، فاشترك البشر في ملكية شيء ما تقضي إلى الهلاك، فما بالك بالاشترك في ملك الكون ؟، ولما كان الكون منتظماً، لا يمكن الحديث أبداً عن الاشراك، أو حتى على ما يعرف عند الكثير من الملاحدة بمبدأ الصدفة في وجود الكون.

والحديث عن التوحيد يقودنا أيضاً إلى استشراف النظرة الكلية لمفهوم التوحيد، وانعكاساتها المشرقة على كل جوانب الحياة، بما فيها الجانب الوجداني، إذ لو لا التوحيد لغرق الإنسان في الخوف، باعتباره أضعف المخلوقات وأشقاها وأدناها، وأكثرها عذاباً وألماً، لأن ماهيته تنطوي عجزاً كبيراً، وفقراً في تلبية الحاجيات، تتطلب من يحققها⁵⁷، ولكن الإنسان استطاع تجاوز هذا الخوف من خلال التوحيد.

ولا يمكن البرهنة على وحدانية الله عز وجل ما لم تتم البرهنة على وجوده، وليتسنى له ذلك استعمل البرهان بالخلف في قوله بأنه لو كانت الطبيعة موجوداً خارجياً مؤثراً وحقيقة واقعية فاعلة، لكانت عامة، ولكنها ليست عامة، وبالتالي لا يمكن أن تكون الطبيعة موجوداً خارجياً مؤثراً، وبهذا لا يمكن أبداً أن ينتسب إليها مصدر الأشياء، الذي بالتأكيد أعظم منها⁵⁸، فادلة وجود الله تنكشف في استنتاج الطبيعة المفعول بها، لا الفاعلة، القاصرة عن الوجود بذاتها، ما دامت معرضة للفناء، وموجدها لا يمكن أن يكون من جملة الفانين، هذا ما يجعل حقيقة الله حقيقة لا يمكن أن تنكسف، بل يبقى بزوغها للأعيان المتبصرة برصانة البرهان المنطقي.

بهذا، لا يبقى الإيمان مجرد بديهيات تنغرس في وجدان الإنسان، بل تصبح نتائج لسلسلة من البراهين المنطقية، التي انتقلت من إثبات القضايا العقلية، إلى إثبات حتى القضايا الوجدانية، كالإيمان، كما هو واضح، ولما كانت القضايا المستعملة في عملية البرهنة يشترط

فيها صدقها الواقعي، ابتعد المنطق مع الإمام النورسي عن الصورنة، لأن غايته ليست مجرد ضمان اتساق المقدمات مع النتائج اتساقاً صورياً كما كان مع أرسطو، بل يرتبط أساساً بالصدق الواقعي، لأن صدق المقدمات ضروري لسلامة القياس.

3) المنطق وسيلة لتحليل ألفاظ اللغة :

من يقرأ للإمام النورسي يجد أسلوبه بديعاً وجميلاً، دقيقاً، بعيداً عن التثنيق البلاغي، لأن الغاية من رسائل النور ليست استجداء الأنواق، بل استدراج العقول وتغذية الجانب الروحي، بالاستناد إلى الحجة الدامغة، إذ الذي يهم عنده ليس المبني، بل المعنى، لذلك يجب ضبط المعنى ضبطاً دقيقاً، تسجيح قواعد المنطق، لأن >> المجري الطبيعي لأنهار الأفكار والمشاعر والأحاسيس إنما هو نظم المعاني، ونظم المعاني هو الذي يشيد بقوانين المنطق وأسلوب المنطق متوجه إلى الحقائق المتسلسلة <<⁵⁹، فالمنطق بهذا هو أساس الضبط اللغوي، ما دام يجنبنا التناقض، ويركز على ماهية الأشياء، ويرفض الخلط في العبارات، والميل إلى الخيال، وتعدد المعاني للفظ الواحد، في حين تركز البلاغة على الغوص في الوجدانيات، والغرق في الخيال، مما يجعل وضوح المعاني غير متيسر، لذلك نجد العديد من الأدباء يميلون إلى >> تنميق اللفظ صارفين أذهانهم عن تنسيق المعاني والتغلغل فيها <<⁶⁰، في حين يجب الغوص في المعاني، والابتعاد عن العبث بالألفاظ، ولعل هذا ما نلمسه في التحليل الدقيق للألفاظ، في تفسيره لمعاني الآيات القرآنية، كتخليه للحرف ((نا)) في قوله عز وجل: ((حسبنا الله ونعم الوكيل))⁶¹.

وبذلك استطاع النورسي أن يعرف أهمية التدقيق في العلاقة بين اللفظ والمعنى، باعتبارها هي التي تمكننا من إدراك الماهيات، وإدراك الماهية يفترض مقابلة بين اللفظ والمعنى مقابلة تامة، فلا يمكن أن يتلبس لفظ معنى آخر مشابه، لذلك أصر على التركيز على هذه العلاقة، متحججاً بصعوبة بل استحالة ترجمة معاني القرآن من العربية إلى اللغات الأخرى، ما دام اللفظ لا يحمل معنى واحداً، لذلك إذا أردنا الترجمة، فيجب في رأيه إدراك المعنى الحقيقي لكل لفظ، حتى لا نقع في الخلط⁶².

فالمنطق بهذا ليس مجرد قواعد لا تساعدنا في شيء كما يعتقد البعض، بل هو ينفذ إلى كل مجالات الحياة، بداية من اللسان، فـضبط اللفظ سيؤدي إلى ضبط اللسان، والذي سيؤدي بدوره إلى توضيح المعنى، وبهذا سيغيب سوء الفهم في العلاقات الإنسانية. وكان النورسي بذلك فكراً نافذاً استطاع إدراك أهمية المنطق في هذا الجانب.

خاتمة:

استطاع الإمام سعيد النورسي استعمال المنطق في نواحي مختلفة، موضحاً أن المنطق ليس مجرد لعبة عقلية، بعيدة عن التطبيق الواقعي، بل هو عنده وسيلة للبرهنة، يمكن استعمالها حتى للبرهنة على القضايا الوجدانية، كالقضايا الإيمانية، كما يمكنها تحليل اللفظ، لأن غاية رسائل النور هي بعث طلاب يشع نور الإيمان من بين أوصالهم، ولن يتسنى ذلك في ظل غموض اللفظ، فتحليل اللفظ هو بمثابة الخطوة الأولى لفهم القرآن، واستوضح معانيه، وبالتالي فهم الرسالة، التي هي المدخل الرئيسي لروعة الإيمان.

⁽¹⁾ محمد فتحي عبد الله ، الجدل بين أرسطو و كانط ، (بيروت : المؤسسات الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، 1995) ، ص 9 و 10 .

- (²) روبير بلانشي ، المنطق و تاريخه من أرسطو إلى راسل ، تر محمود اليعقوبي ، (الجزائر : دار الكتاب الحديث ، 2004) ، ص 9
- (³) المرجع نفسه ، ص 9 .
- (⁴) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، (مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، 1936) ، ص 58 .
- (⁵) فريدريك كوبلستون ، تاريخ الفلسفة ، المجلد الأول (اليونان و روما) ، تر إمام عبد الفتاح إمام ، (المجلس الأعلى للثقافة ، 2002) ، ط 1 ، ص 163 .
- (⁶) روبير بلانشي ، المرجع نفسه ، ص 27 .
- (⁷) ابن رشد ، نص تلخيص منطق أرسطو ، المجلد الخامس ، كتاب أنالوطيقا الثانية (البرهان) ، تحقيق جرار جهامي ، بيروت : دار الفكر اللبناني ، 1992) ، ط 1 ، ص 370 .
- (⁸) جول تريكو ، المنطق السوري ، تر محمود اليعقوبي ، (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، 2015) ط 2 ، ص 131 .
- (⁹) المرجع نفسه ، ص 231 .
- (¹⁰) روبير بلانشي ، المرجع نفسه ، ص 109 .
- (¹¹) المرجع نفسه ، ص 110 ، 111 .
- (¹²) أبو حامد الغزالي ، معيار العلم ، منطق التهافت ، (مصر : دار المعارف ، 1961) ص 31 .
- (¹³) المرجع نفسه ، ص 159 .
- (¹⁴) أبو زكرياء يحيى بن شريف النووي الدمشقي ، أداب الفتوى و المفتي و المستفتي ، (دمشق : دار الفكر للتوزيع و النشر ، 1988) ، ص 13 ، 14 .
- (¹⁵) قواعد الأصول ، نقلا عن محمد بن حسين بن حسن الجزاني ، معالم أصول الفقه عند أهل السنة و الجماعة ، (دار ابن الجوزي) ، ص 21 .
- (¹⁶) أبو علي ابن سينا ، الإشارات و التنبيهات ، شرح نصير الدين الطوسي ، القسم الأول ، (القاهرة : دار المعارف) ، ط 3 ، ص 103 .
- (¹⁷) أبو حامد الغزالي ، المرجع نفسه ، ص 75 .
- (¹⁸) محمد شطوطي ، النظرية المنطقية عند الشيخ الرئيس ابن سينا ، (الجزائر : دار قرطبة و دار صقلية ، 2007) ، ط 1 ، ص 239 ، 240 .
- (¹⁹) بديع الزمان سعيد النورسي ، صيقل الإسلام ، ص 174 .
- (²⁰) المصدر نفسه ، ص 180 .
- (²¹) المصدر نفسه ، ص 180 .
- (²²) المصدر نفسه ، ص 179 .
- (²³) المصدر نفسه ، ص 154 .
- (²⁴) المصدر نفسه ، ص 181 .
- (²⁵) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، و مكتبة المدرسة ، ج 1 ، 1982) ، ص 281 .
- (²⁶) الشعاعات ، من ص 08 إلى 61 .
- (²⁷) جميل صليب ، المرجع نفسه ، ص 53 .
- (²⁸) صيقل الإسلام ، ص 181 .
- (²⁹) ورد تعريفه لها في البيت التالي:
- ما احتمل الصدق لذاته جرى بيبي قضية و خبرا
- (صيقل الاسلام) ص 220 .
- (³⁰) صيقل الإسلام ، ص 248 .
- (³¹) المصدر نفسه ، ص 230 .
- (³²) المصدر نفسه ، ص 282 .
- (³³) المصدر نفسه ص 307 .
- (³⁴) المصدر نفسه ن ص 307 .
- (³⁵) المصدر نفسه ، ص 318 .
- (³⁶) المصدر نفسه ، ص 318 .
- (³⁷) المصدر نفسه ، ص 319 .
- (³⁸) المصدر نفسه ، ص 319 ، 320 .
- (³⁹) الكلمات ، ص 20 .
- (⁴⁰) المصدر نفسه ، ص 720 .

-
- (41) المصدر نفسه ، ص 248 .
- (42) المصدر نفسه ن ص 323 .
- (43) المصدر نفسه ، ص 310 .
- (44) المصدر نفسه ، ص 269 .
- (45) جميل صليبا ، المرجع نفسه ، ص 187 .
- (46) مجموعة من العلماء ، أصول الغيمان في ضوء الكتاب و السنة ، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، 2000) ، ص 9 .
- (47) بديع الزمان سعيد النورسي ، الشعاعات ، تر إحسان قاسم الصالحي ، (القاهرة : دار سوزلر للنشر ، 1993) ط 2 ، ص 08 .
- (48) المصدر نفسه ، ص 23 .
- (49) المصدر نفسه ، ص 23 .
- (50) المصدر نفسه ، ص 61 .
- (51) المصدر نفسه ، ص 31 .
- (52) المصدر نفسه ، ص 34 .
- (53) المصدر نفسه ، ص 14 .
- (54) المصدر نفسه ، ص 14 .
- (55) المصدر نفسه ، ص 15 .
- (56) اللمعات ، ط 6 ، ص 483 .
- (57) المصدر نفسه ، 18 ، 19 ، 20 .
- (58) المثنوي العربي ، ص 425 .
- (59) صيقل الإسلام ، ص 87 .
- (60) المصدر نفسه ، ص 87 ، 88 .
- (61) الشعاعات ، ص 69 ، 81 .
- (62) المكتوبات ، ص 496 .